المحاضرة الثالثة:

1-1أوائل نحاة المدرسة البصرية وأبرزهم:

إنّه لمن الصعب أن نأتيَ على جهد كلّ نحوي من نحاة البصرة الذين شهدوا ميلاد هذا العلم، ووقفوا على أغلب مراحل نموه وتطوره، ورعوه حقّ رعايته، لأنّه نشأ بين ظهرانيهم فكانوا أوفياء ومخلصين له إلى أنْ شبّ النحو واشتعلت هم رؤوسهم شيباً طبقة بعد طبقة ،ويمكن أن نقسّم هؤلاء النحاة إلى طبقات عدّة طيلة القرون الثلاثة الأولى، وهي باختصار كما يلي:

الطبقة الأولى:

1-عبد الرحمن بن هرمز:(ت117)وهو أوّل من وضع العربية، وكان أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش، ويقال إنّه جالس الإمام مالك سنين عدة[1] .

2-نصر بن عاصم الليثي(ت90هـ) أقام بالبصرة وضع نقط الإعجام، وروي أنّه أول من عشّر المصاحف وخمسها ؛أي قسّمها إلى آيات[2].

3-عنبسة بن معدان الفيل: أخذ النحو عن أبي الأسود، وكان أبرع تلامذته.

4-ميمون الأقرن:أخذ النحو عن أبي الأسود وعن عنبسة الفيل، وكان أحد أئمة العربية الذين يرجع إليهم في المشكلات[3].

5-يحي بن يعمر العدواني(ت129هـ) قيل إنّه زاد في النحو أبواباً بعد أبي الأسود، وكان عالما بالفقه، روى عن ابن عمر وابن عباس رحمهما الله[4].

الطبقة الثانية:

---

[1] -طبقات اللغويين والنحويين،ص26

[2] -ينظر المدارس النحوية شوقي ضيف،ص17

[3] -ينظر المدارس النحوية الحديثي،ص52، والمدارس النحوية التواتي بن التواتي،مطبعة الرويغي الأغواط الجزائر،ط1، 2006م ص31

[4] -طبقات اللغويين والنحويين،الزبيدي،ص28،والمدارس النحوية، الحديثي،ص52

1-عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي(ت117هـ)أخذ النحو عن الأقرن، «وهو أوّل من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل»،كان ميالاً للقياس، ويروي ابن سلام قال: «سمعت أبي يسأل يونس عن ابن أبي إسحاق وعلمه فقال هو والبحر سواء أي هو الغاية»[5].

2-أبو عمرو بن العلاء(ت154هـ) أخذ النحو عن ابن أبي إسحاق، وكان عالماً بلغات العرب وغريبها، وهو من القراء الموثوق بهم، وكان يقرئ الناس القرآن في مسجد البصرة والحسن البصري حاضر، وقيل إنّه قال أخذت في طلب العلم قبل أن أختن كناية عن حداثة سنّه حينما طلب العلم، وقال الأصمعي قال أبو عمرو :ما سمع حماد الراوية حرفاً قطُ إلاّ سمعته، وكان أبو عمرو أسن من حماد[6].

3-عيسى بن عمر الثقفي(ت149هـ):أخذ العلم عن أبي عمرو بن العلاء، وكان أفصح الناس يتقعّر في كلامه ويستعمل الغريب[7]،وأخذ عن ابن أبي إسحاق الحضرمي، وكان يطعن في الشعراء فقد طعن في قول النابغة :

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاورتْنِي ضئيلةٌمن الرقش في أَنيابِها السُمُّ ناقعُ**[8].

بأنّ الوجه فيه أن يقول: السمُّ ناقعاً،وقد ذكر الرواة أنّ له كتابين في النحو سمّاهما الإكمال والجامع.

4-أبو سفيان بن العلاء(ت165هـ)وهو أخو أبي عمرو بن العلاء، وهو من النحويين

عُني بالغريب وكان راوياً[9].

5-الأخفش الكبير(ت177هـ) و أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد إمام النحو، كان عالماً بالغريب، فقد روي أنّه قال:«لا أقول جُشَّة الرجل إلاّ لشخصه على سِرجٍ و رَحْلٍ ويكون معمَّماً»،وقيل أنّهما لم تسمع من غيره[10]،وقال أيضاً:(الخفخوف:طائر ولم يذكره أحد غيره).

---

[5] -الطبقات،ص31

[6] -المصدر نفسه،ص40

[7] -ينظر مراتب النحويين،أبو الطيب اللغوي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ،مكتبة نهضة مصر ومطبعتها القاهرة،ص21

[8] -البيت للنابغة الذبياني وهو من الطويل يتحدث فيه عن الوساوس والمخاوف التي تحيط به خوفا من النعمان ينظر ديوان النابغة الذبياني شرح وتقديم عباس عبد الساتر دار الكتب العلمية بيروت ،ط3، 1416هـ/1996،ص54

[9] -ينظر الطبقات ،ص40

[10] -المصدر نفسه ،ص40

المحاضرة الرابعة:

النحو عند نحاة الطبقة الثالثة الخليل وسيبويه والأخفش:

1-الخليل بن أحمد(ت170هـ): هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي من الأزد، أخذ النحو عن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر، شافه الأعراب بنزوله إلى بوادي الجزيرة العربية ونجد وتهامة والحجاز[11]،ويروي أبو الطيب فيقول: «وكان[أي الخليل] أعلم الناس وأذكاهم وأفضل الناس وأتقاهم، أخبرنا محمد بن يحيى قال: أخبرنا الحسين بن فهم قال:سمعت محمداً بن سلام يقول: سمعت مشايخنا يقولون: لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع»[12].

والخليل بن أحمد هو واضع علم العروض والقافية، وقد صنّف معجماً في اللغة سماه العين، وقيل إنّه «تعلّق بأستار الكعبة وقال اللهم ارزقني علماً لم يسبقني إليه الأولون ولا يأخذه إلاّ عني الآخرون»[13]،فلمّا رجع اخترع علم العروض، وكان ابن المقفع يقول عنه: «رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه»[14].

النحو عند الخليل:

إذا وصلنا إلى الخليل بن أحمد وجدنا أنّ النحو قد قطع شوطاً كبيراً من خلال جهود أولئك العلماء الذين سلف ذكرهم، فوضعوا الأصول والقياس واستنبطوا وعللوا ووضعوا العوامل، حتى جاء الخليل فكان له فضل البناء والتشييد والإكمال إلى أن استقر على ما وجدناه في كتاب سيبويه، وكان الخليل قد نزل إلى بوادي نجد وتهامة والحجاز، وسمع عن العرب في بطون البوادي والصحاري، بل كان يرحل حتى إلى الحجاز لآداء فريضة الحج، ومن ثمّة مقابلة العلماء الوافدين عليها،ووصل إلى خرسان والأحواز وبغداد[15]

.

---

[11] -نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة،ص46

[12] -مراتب النحويين نص28

[13] -المصدر نفسه،ص31

[14] -الطبقات ،ص49

[15] -ينظر المدارس النحوية خديجة الحديثي،ص66

إنّ الناظر في كتاب سيبويه ليجد أنّ معظم أبوابه هي آراء للخليل إلاّ ما قلّ منه،وإنّ أغلب مصطلحات الكتاب هي من وضع الخليل، كالمسند والمسند إليه، والحذف، والاستغناء، والعوض، والفاعل والمفعول به، والفعل، والمبتدأ، وهلم جراً من المصطلحات النحوية، فضلاً عن أسماء الحركات وأنواع الإعراب[16]،كما أكمل الخليل ما وضعه شيوخه من أصول و أقيسة بناها على ما سمعه من كلام العرب ومن شيوخه ،وطوّر التعليل والقياس الذي بناه على المسموع من كلام العرب المطرد ،كما « لجأ إلى القول بتقدير العوامل التي يستدعيها المعنى اللغوي وتنسجم معه ويربط بين كل هذه الأنماط والجزئيات ليكون للدراسة النحوية هذا البنيان الشامخ الذي بلغ عنده مرحلة النضج والاكتمال»[17]،فمن قياس الخليل على الكثير رأيه في رفع الذراعين والقفيزين في قولهم:(بعت داري الذراعان بدرهمٍ،وبعت البُرَّ القفيزان بدرهم)،وإن كانا في معنى الحال مؤولاً إلى:(بعت داري مسعرةً على الذراعين بدرهمٍ،ومنع الخليل انتصاب الذراعين والقفيزين على الحالية لأنّهما اسمان معرفان، ولم يقسهما على قولهم:(كلمته فاهُ إلى فيَّ) بنصب(فاه) على الحالية؛ لأنّ هذا شاذ لا يقاس عليه، وشذوذه «أنّه اسم جُعِلَ بمنزلة المصادر التي تكون حالاً وهي معرفة بالألف واللام نحو:(أرسلها العراك)...وليست كلّ المصادر المعرفة تكون أحوالاً وعلى هذا فالأسماء المعارف أبعد أن تكون حالاً من المصادر »[18].

وسأل سيبويه الخليل ذات مرّة عن صرف كلمة (رمان) اسماً لرجل فقال الخليل: «لا أصرفه واحمله على الأكثر إذا لم يكن له معنى يعرف»[19]،فقد حملها الخليل على الأكثر مثل: (عثمان ومروان) وغيرها مما آخره ألف ونون زائدتان، مما يمنع من الصرف «لانعدام الدليل عنده من اشتقاق أو غيره على كون النون من (رمان)أصلية. »[20]،ولقد اشتهر الخليل باهتمامه بالتأويل ففتحه على مصراعية، وخالف أكثر النحاة وذلك بتفسيره لسبب الشذوذ –على الرغم من القاعدة اللغوية المشهورة القائلة إنّ **الشاذ لا يقاس عليه** – وإيجاد وجه يقبل به، من ذلك أنّه سمع أعرابياً يقول(ما أنا بالذي قائلٌ لك شيئاً) بحذف صدر الصلة بعد الذي، وهو قليل ولا يجوز، والأصل فيه (ما أنا بالذي هُو قائلٌ لك شيئاً)، وإنّ الذي

---

[16] –ينظر المدارس النحوية الحديثي،ص67

[17] –المدارس النحوية ،الحديثي،ص67

[18] –الكتاب سيبويه،تح عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي القاهرة،1412هـ/1992م، ج1،ص394 ،ومكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي،جعفر نايف عبابنة، ،دار الفكر عَمَّان، ط1 ،1404هـ-1984م، ص62

[19] –الكتاب سيبويه،ج3،ص218

[20] –مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي ،ص62

حمله على ذلك هو طول الصلة، فطول الصلة عوض عن إثبات (هو)،ولو قصرت لما جاز حذف صدر الصلة، كقولهم مثلاً: (**ما أنا بالذي هو مُنطلقٌ**)[21].

وقد سأل سيبويه الخليل مرة عن قولهم:(كيف تَصنَعْ أَصنَعْ) فجازوا بـ "**كيف**" وهي ليست من حروف الجزاء، فقال الخليل:لأنّ مخرجها على الجزاء ومعناها(**على أيّ حالٍ تكنْ أكنْ**)، وهي مستكرهة عنده[22].

وكما عُرف الخليل بتأويلاته اشتهر أيضاً بتعليله للظواهر النحوية، «فاستنبط من علل النحو ما لم يستنبطه أحد وما لم يسبقه إلى مثله سابق»[23]،ولما سُئل عن مصدر علله أجاب أنّها من حدسه وتخمينه فقط، و أن بإمكان أيّ عالم أن يعتل بما يراه مناسباً[24]،ومن تعليلاته أنّه علّل لعدم دخول الألف واللام على المنادى نحو قولك: (يا الحارث) بل يقال: (يا أيها الحارث) بتوسط (أي) وذلك «من قبل أنّ كل اسم في النداء مرفوع معرفة وذلك أن المتكلم إذا قال:يا رجل فمعناه كمعنى:(يا أيها الرجل)،وصار معرفة لأنك أشرت إليه وقصدت قصده، واكتفيت بهذا عن الألف و اللام، وصار كالأسماء التي هي للإشارة نحو: (هذا)وما أشبه ذلك وصار معرفة بغير ألف ولام... »[25]،وعلّل عدم ندب النكرة مثل (رجل) والمبهم مثل (من) و(هذا)، فلا يقال وارجلاه ويارجلاه؛ لأنّك أبهمت، وكان عليك« أن تفجّع بأعرف الأسماء وأن تخص ولا تبهم؛ لأنّ الندبة على البيان...وإنّما كرهوا ذلك أنّه تفاحش عندهم أن يختلطوا وأن يتفجعوا على غير معروف. »[26].

وأمّا العوامل فكان حظه منها كحظه مع باقي الظواهر النحوية الأخرى، فقد أرسى قواعدها وأحكمها إحكاماً لانظير له، فعرف أنّه صاحب نظرية الإعمال والإلغاء، ومن آرائه زعمه أنّ الحروف المشبهة بالأفعال تعمل الرفع والنصب ككان وأخواتها، غير أنّنا نقول: (كانَ أخَاكَ زيدٌ)، ولا نستطيع أن نقول: (كأنّ أخُوكَ عَبدَ الله)، تريد كأنّ عبدَ الله أخُوكَ،لأنّ الحروف المشبهة بالفعل «لا تتصرف تصرف

---

[21] –ينظر مكانة الخليل ،ص63

[22] –ينظرالكتاب ج3،ص60

[23] –المدارس النحوية شوقي ضيف،ص48

[24] –ينظر مكانة الخليل،ص88،والمدارس النحوية ،ضيف،ص48، 49

[25] –المدارس النحوية شوقي ضيف،ص49

[26] –سيبويه الكتاب،ج2،ص227

الأفعال، ولا يضمر فيها المرفوع كما يضمر في (كان)، ومن ثمّ فرّقوا بين ليس وما فلم يجروها مجراها»[27]،وقيل إنّ الخليل هو أوّل من أشار إلى حروف الجر الزائدة، التي تؤثر في ما بعدها لفظاً لا محلاً كقوله تعالى: ﴿**قُلْ كَفَى باللهِ شَهِيداً بيني وبينكم**﴾، والتقدير كفى اللهُ بالرفع غير أنّ الباء عملت الجرّ في لفظ الجلالة.[28]

2- يونس بن حبيب(ت182هـ)وهو أبو عبد الرحمن مولى بني ضبّة، أخذ النحو عن أبي عمرو بن العلاء، وقيل إنّ يونس قال :أوّل من تعلمت منه النحو هو حماد بن سلمة[29]،وقد روى عنه سيبويه في الكتاب في كثير من المواضع.

1-النحو عند سيبويه(ت180هـ):هو أبو عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بن الحارث بن كعب، ولد بالبيضاء بفارس، نشأ بالبصرة، وقد عزم أن يتعلّم الحديث النبوي الشريف فلزم حلقة حماد بن سلمة فاستملى منه قول النبي صلى الله عليه وسلم[ليس من أصحابي إلاّ من لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء]فقال سيبويه[ليس أبو الدرداء]، وكان يظنّ أنّه اسم ليس، فقال له حماد لحنت يا سيبويه لأنّ (ليس) هنا للاستثناء، فقال سيبويه((والله لأطلبنّ علماً لا يلحنني فيه أحد))،فلزم الخليلَ بنَ أحمد فأخذ عنه النحو، وأخذ عن يونس وعيسى بن عمر[30] حتى برع فيه، ولمّا توفي الخليل خلفه وترأس حَلْقته العلمية فكان له تلاميذ كالأخفش الأوسط وقطرب، ثم شرع في تأليف الكتاب، فسرعان ما ذاع صيته في البصرة وبغداد جميعاً، ممّا سهّل التقاءه بالكسائي في بغداد، فكانت تلك المناظرة الحامية الوطيس بينهما والتي عرفت بالمسألة الزنبورية، التي انهزم فيها سيبويه غدراً واحتيالاً، ولم يُقِم في بغداد لما أصابه من انكسار، حتّى توفي في شيراز وقيل في همذان[31].

ولقد تطور النحو العربي في عهد الخليل وسيبويه أيّما تطور بفضل أولئك «الأعلام الذين تعاقبوا على تطويره ومتابعة كلام العرب الموثوق به»[32]والقرآن الكريم، فوضعوا الأصول والأقيسة والعوامل

---

[27] -شوقي ضيف المدارس النحوية ،ص38

[28] -ينظر شوقي ضيف،ص38، 39

[29] -نشأة النحو،ص47، والطبقات،ص51

[30] -الطبقات،ص66، ونشأة النحو،ص47

[31] -المدارس النحوية ضيف،ص58، 59

[32] -المدارس النحوية،الحديثي،ص65

وعللوها، وما كان من الخليل وسيبويه إلاّ الاستمرار في بناء صرح هذا العلم، الذي بدأه أشياخهما، وقد أملى الخليل علمه على سيبويه، فجاء كتابه يعجّ «بموضوعات النحو وأبوابه وأصوله وأقسامه وفروعه»[33].

وأغلب الظن أنّ سيبويه قد رحل إلى البوادي للسماع عن العرب كما فعل أستاذه الخليل، ويظهر ذاك من أقواله التي توحي بسماعه هو مباشرة عن العرب الموثق بكلامهم، كما يظهر في كتابه الفريد الذي قيل فيه:"**من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي**" [34]،ويقول صاعد بن أحمد الأندلسي: «لا أعرف كتاباً ألّف في علم من العلوم قديمها وحديثها، اشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب أحدها المجسطى لبطليموس في علم هيئة الأفلاك والثاني كتاب أرسطوطاليس في علم المنطق والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي... »[35]،وهو أوّل كتاب في النحو والصرف، أحاط بهذين العلمين أيما إحاطة شاملة، وظلّ هذا الكتاب قبلة كلّ النحاة والعلماء من بعده، يغترفون من معينه، فقد اهتدوا بهديه في المسائل النحوية والصرفية وما أشكل منها، واستعملوا مصطلحاته وهلم جراً،ولا نريد هاهنا أن نستطرد في الحديث عن الكتاب بقدر ما نود أن نجلي الطريق الذي سلكه سيبويه في رسم حدود النحو العربي.

ومن كان يعتقد أنّ كتاب سيبويه يخلو من أي منهج نهجه سيبويه فيه فليرجع إلى الكتاب فليتأمله بدقّة فسيدرك أنّه سار فيه بأسلوب منطقي، وقدّم ما ينبغي تقديمه وأخّر ما يجب تأخيره، وأنّه ركّز في كتابه على ثلاثة علوم عربية النحو والصرف والأصوات، فكان يميز بين المباحث العربية، كما يظهر تنظيمه أيضاً في ابتدائه بباب تنبني عليه جميع الأبواب الأخرى، فبدأ بأنواع الكلام وهو باب:**باب علم ما الكلم من العربية"**، ولقد اتبع كلّ من جاء بعده هذا التنظيم فبدأوا بهذا الباب الذي جعله سيبويه فاتحة كتابه[36]،وقد ذكر في هذا الباب أحوال الإعراب الرفع والجر والنصب والجزم، كما ذكر أحوال البناء وهي الفتح والكسر والضم والوقف، وبيّن الأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة، وذكر ما يدخله الإعراب من الأسماء والفعل المضارع، ثم ذكر علامات البناء التي تدخل الأسماء غير المتمكنة والحروف مثل:

---

[33] –المدارس النحوية،الحديثي،ص72

[34] –شوقي ضيف،ص59

[35] –شوقي ضيف،ص60

[36] –ينظر خديجة الحديثي المدارس النحوية ،ص82، 83

(سوف وقد) مستوعباً كلّ ما يخصّ الإعراب والبناء،كما تحدّث عن علامات الإعراب للأسماء والفعل المضارع وعن علامات إعراب الممنوع من الصرف[37]،ثم تطرّق في الباب الذي يليه إلى ركني الجملة الأساسين المسند والمسند إليه، «وبيّن فيه ما يشمل المبتدأ والخبر وما يدخل عليه من رافع أو ناصب والفعل والفاعل»[38]،وختم أبواب مقدمة كتابه بـ"**باب ما يحتمل الشعر**" ويمتنع في النثر ثم بدأ مباشرة أبواب الكتاب الأصلية كباب الفاعل للفعل اللازم والمتعدي، ثم مضى في ذكر أبواب النحو ثم الصرف ثم الصوت وهكذا[39].

ومن بدائع فكر سيبويه أنّه كان يبدأ أبوابه تلك بتعريفات قصيرة توضّح الباب وتجلي فكرته، كقوله في باب الإمالة «هذا باب ما تمال فيه الألفات، فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولك عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وعذافر وهابيل»[40]،ويقول في باب التصغير: «اعلم أنّ التصغير إنّما هو في الكلام على ثلاثة أمثلة على فُعَيلٌ وفُعَيعِلٌ و فُعَيعِيلٌ»[41]،وهو بهذا نراه ينهج المنهج التحليلي بذكر أقسام الشيء وتفريعاته، وقد يلجأ إلى المنهج العقلي في التعريف، فيذكر التعريف كاملاً جامعاً كتعريفه للفعل بقوله: «وأمّا الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع»[42]، حيث بيّن فيه خصائص الفعل كلّها حتّى قضية اشتقاق الفعل من المصدر بقوله: «وأمّا الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء» فقصد بأحداث الأسماء المصادرَ.

وأمّا العوامل فقد بنى سيبويه جلّ أبوابه النحوية على فكرة العمل، وهي الأساس الذي اعتمده في حديثه عن أبواب النحو، فبدأ أبوابه الأولى بذكره حينما تحدّث عن الإعراب فذكر مجاري أواخر الكلم الثمانية ،ثم تطرّق إلى الفعل وتعديه إلى مفعول واحد ومفعولين وثلاثة مفاعيل، ثمّ ما يعمل عمل الفعل من أسماء الفاعل والمفعول والمصادر وهلم جرا[43]،ويمضي سيبويه يفسر أبوابه النحوية انطلاقاً من نظرية العامل، ولا يكاد يخلو باب نحوي من الحديث عن العوامل والمعمولات، فقد أشار أيضاً في سياق هذه

---

[37] –ينظر الكتاب سيبويه ،ج1،ص12 وما بعدها،و خديجة الحديثي،ص83، 84

[38] –خديجة الحديثي،ص84

[39] –ينظر خديجة الحديثي،ص85

[40] –الكتاب، ج4،ص117

[41] –سيبويه الكتاب ،ج3،ص415

[42] –سيبويه الكتاب ،ج1،ص12

[43] سيبويه،ج1،ص13 وما بعدها

النظرية عن عمل ما النافية عند الحجازيين التي تعمل عمل (**ليس**)، كقوله تعالى:﴿ **ما هذا بشراً**﴾[يوسف/31] ويشير إلى (لات) العاملة عمل ليس أيضاً، ويشترط عملها في الحين فقط، مع إضمار مرفوعها والإبقاء على خبرها مع جواز رفع ما بعدها مع إضمار خبرها، ولكن الوجه الأوّل هو الشائع كقوله تعالى: ﴿ **ولاتَ حينَ مناصٍ**﴾ بنصب حين مناص،ويتطرّق إلى باب التنازع ويناقش عمل الفعل في قولهم:(**قامَ ومَضَى المُحمّدُون**)،إذ رفض سيبويه هذا التعبير، ويُعمِلُ الفعل الثاني الأقرب ويضمر في الأوّل فيقال:(**قامُوا ومَضَى المُحمّدُون**) تجنباً لوجود فاعل لفعلين اثنين، فيجتمع مؤثّران لأثر واحد،وفي تصوّر سيبويه للتعبير الأوّل الذي رفضه خطر للعامل على التعبير اللغوي هذا[44]، لذا ردّ مثل تلك التعابير رداً جميلاً، فأعمل الأقرب في المرفوع وأضمر للفعل الأوّل، والمسألة خلافية تطرّق إليها صاحب الإنصاف في مسائل الخلاف في المسألة الثالثة بعد العشرة من كتابه.

ويتحدّث دائماً في ظلّ العامل عن الإعمال والإهمال كإعمال ظنَّ وأخواتها وإلغائها،حيث يجوِّز إلغاء عملها إذا تأخرت أو توسطت مثل:(**محمّدٌ منطلقٌ ظننتُ**)و(**محمّدٌ ظننتُ منطلقٌ**)[45]،ويذهب إلى أنّ الفعل يعمل في البدل والمبدل منه جميعاً، كقولهم: (**رَأَيتُ قَومَكَ أكْثَرَهُم**) حيث يشبّهه بالتوكيد، إذ يعمل فيه الفعل هو أيضاً ،كقوله تعالى: ﴿ **فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُم أَجْمَعُونَ**﴾[46][الحجر/30].

ولتلاميذ الخليل وسيبويه ومن جاء بعدهما جهود مظنية في تشييد النحو كالأخفش الأوسط(ت215هـ) وقطرب(ت206هـ) والجرمي(ت225هـ) والمبرد(ت285هـ)حتى آخر نحوي في المدرسة البصرية وهو السيرافي(ت368هـ).

الأخفش الأوسط: (ت215هـ):

وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة فارسي الأصل « مولى بني مجاشع ابن دارم(بطن من تميم)...ولد ببلخ وأقام بالبصرة لطلب العلم وتلقى مع سيبويه عن جل شيوخه سوى الخليل»[47]، وقيل إنّه ورث الكتاب فكان يمسكه عنده على أن يخرجه للقراء، وقيل عن سيبويه لم يقرأه على أحد غيره، وقال

---

[44] -ينظر سيبويه الكتاب،ج1،ص73 وشوقي ضيف المدارس النحوية،ص66

[45] -ينظر سيبويه الكتاب ،ج1،ص119،و شوقي ضيف المدارس النحوية،ص66، 67

[46] -ينظر سيبويه،الكتاب ج1،ص150

[47] -محمد طنطاوي نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة،ص63

الأخفش: «ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلاّ عرضه عليَّ، وكان يرى أنّه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه»[48]،وكان الأخفشُ المدافعَ عن سيبويه، إذْ لما سمع بحادثة مناظرة بغداد بين الكسائي وسيبويه وعرف ما عرف من انكسار سيبويه وخزيه يومئذ، قرر السفر إلى بغداد والانتقام لسيبويه، ولما وصل سأل الكسائي أمام تلامذته وخطأه في إجابته حتّى غضب منه الحضور، غير أنّ الكسائي استماله وقرّبه إليه وعانقه وأجزل له العطايا وأكرمه أيّما إكرام، فانقلب الكره محبة ورضاء، وأقام عنده عمره كلّه ببغداد فأدَّب أولاده، وقرأ له كتاب سيبويه حتى وافق الأخفشُ الكوفيين في أغلب المسائل النحوية[49].

و الأخفش من ألمع نحاة البصرة بعد سيبويه، فهو الذي فتح باب الخلاف النحوي ومهد لتنشأ مدرسة الكوفة فيما بعد نظراً لمخالفته لسيبويه في كثير من المسائل، مما شجّع الكوفيين فكوَّنُوا مدرستهم ،وكان سعيد بن مسعدة عالماً بلغات العرب ذكياً، عُني بالحدود والتعريفات أكثر من سيبويه، إذ نجده يعرّف الاسم فيقول فيه: «الاسم ما جاز فيه نفعني وضربني يريد أنه ما جاز أن يخبر عنه»[50]،وقد خالف سيبويهَ والخليلَ في كثير من الآراء، الأمر الذي جعل الكسائي والفراء يأخذان بجل آرائه ويوافقانها، من ذلك ذهاب الكسائي مذهبه في أنّ (مِنْ)الجارّة تزاد في الإيجاب كقوله تعالى: ﴿**ويكفّر عنكم مِن سيئاتكم**﴾[البقرة/271]،وتابعه في إعمال (**إنَّ**)إذا دخلتها ما الكافة جوازاً مثل: (**إنما زيداً قائمٌ**)،أمّا الفراء فتابعه في جواز ترخيم الاسم الثلاثي، وكان سيبويه يمنعه فلا يقال في نداء الثلاثي كـ (حكم) ياحك ترخيماً[51].

وممّا خالف فيه الأخفشُ الخليلَ وسيبويهَ أنّهما كانا يريان أنّ إعراب المثنى والجمع المذكر السالم يكون بحركات مقدرة على الألف والواو والياء، فنابت عن حركات الرفع والنصب والجر، أمّا الأخفش فيرى أنَّ حروف اللين دلائل الإعراب لا حروف الإعراب،وكانا يريان أنّ إعراب الأفعال الخمسة إنّما هو بالنون التالية لحرف اللين، أمّا الأخفش فكان يرى أنّ إعرابها بحركات مقدّرة على ما قبل تلك الضمائر،وكان

---

[48] –محمد طنطاوي،ص63

[49] –ينظر محمد الطنطاوي،ص63، 64

[50] شوقي ضيف ،ص95

[51] –ينظر شوقي ضيف،ص97

شوقي ضيف يرى أنّ رأي الأخفش خطأ من قبيل أنّ نون تلك الأفعال تسقط في حالتي النصب والجزم لذا كانت علماً للرفع في المضارع[52] .

وكان سيبويه والخليل كذلك يريان أنّ الأسماء الخمسة معربة بحركات مقدّرة في حروف اللين الواو والألف والياء، أمّا الأخفش فكان يذهب إلى أنّها معربة بحركات مقدّرة على ماقبل تلك الحروف[53]،وكان الأخفش يذهب إلى أنّ مُذْ ومُنذُ في مثل: (مُذْ يومُ الخميس) برفع يوم و(منذُ يومانِ) ظرفان، وهما خبران لما بعدهما، بينما يرى الجمهور أنّهما مبتدآن وما بعدهما خبر،ويرى أنّ ضمّة (غير) في مثل (لَيسَ غَيرُ) ليست ضمة بناء وإنّما ضمّة إعراب، إذ جعل (غير)اسم (ليس) والخبر محذوف[54] .

[52] -ينظر شوقي ضيف،ص100، 101

[53] -ينظر نفسه،ص101

[54] -ينظر نفسه،ص105